اللغة العربية في دول الأقليات المسلمة الآسيوية

د. مظهر معين*

نجد اكبر الأقليات الإسلامية في بلاد آسيا التي يبلغ مجموع عددها فيها إلى مئات الملايين ـ وعلى رأسها بلاد الهند ثم الصين ثم البلدان الأخرى التي يوجد فيها الملايين من المسلمين -وتليها الدول التي نجد فيها مئات الآلاف اوالوفا من ابناء الأقليات الإسلامية .

ا - الهند

يزيد عدد سكان الهند على ثمانمائة مليون نسمة ويتراوح عدد المسلمين فيها بين مائة وعشرين ومئتي مليون نسمة - والقول الوسط عند كثير من العلماء والباحثين في عدد المسلمين أن عددهم بالهند لايقل عن مائة وخمسين مليون نسمة ـ وكلهم من أهل السنة والجماعة من اتباع المذهب الحنفي باستثناء بضعة الملايين من أهل السنة السلفيين أوأهل الحديث. كما أنه يوجد في الهند بضعة الملايين من الشيعة الأثنى عشرية والإسماعيلة وغيرهما .

ولعل عدد المسلمين في الهند يزيد على عدد المسلمين في اندونيسيا أكبر الدول الإسلامية من حيث عدد المسلمين فيها ، وإذا قارننا بين عدد العلماء و،مؤلفاتهم ومدارسهم العربية الإسلامية في الهند وفي أية دولة عربية أو إسلامية عبر العصور رأينا الفضل للهند في مختلف النواحي العلمية والدينية.

ودام الحكم الإسلامي في الهند تسعة قرون تقريبا . وذلك من بداية الالف الثاني الميلادي إلى سيطرة الاستعمار الانجليزي عليها سيطرة كاملة بعد عام ١٨٥٧م . ومن سوء حظنا بقيت اغلبية الهنديين على عقيدتهم الكافرة رغم مجهودات العلماء والمتصوفين الذين اسلم على ايديهم عشرا ت الملايين من الشعب الهندي . وكان سبب ذلك عدم اعتناء الملوك والحكام المسلمين بشئون

* أستاذ مشارك بقسم اللغة والآداب العربية جامعة بنجاب لاهور بباكستان

تبليغ الدين والاغماض عنه في اكثر الأحيان . وكانت النتيجة الأخيرة لذلك حرمان الأغلبية من الإيمان مع حرمان الملوك من السلطان . فما بكت عليهم الارض ولا السماء . وإن في مقابرهم ومآثرهم المنتشرة في طول الهند وعرضها لعبرة لأولي الأبصار.

" فما كان يهمهم من الغزو والقتال الا توطيد دعائم ممالكهم . ولو اعتنى هؤلاء الفاتحون من الترك والافغان والمغول بدعوة الإسلام معشار ما اعتنوا بحطام الدنيا الدنيئة لكان للإسلام شأن في بلاد البراهمة غير شانه اليوم "[١] .

ولنلقي نظرة عابرة على اسماء نخبة بارزة من حملة الإسلام ولغة القرآن في القرون الأولى بعد عصر الخلفاء من الصحابة الإمام ابي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن ومعاوية رضي الله عنهم . وعلى رأسهم مؤلفوا الصحاح الستة والأئمة الأربعة وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري وابوالحسن الأشعري والامام الغزالي والشيخ عبد القادر الجيلاني والعلامة ابن الجوزي ونورالدين الزنجي وصلاح الدين الأيوبي وشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وجلال الدين الرومي صاحب المثنوي وبهاء الدين النقشبندي والشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ قطب الدين مودود الجشتي والشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي والسيد علي بن عثمان الهجويري وشيخ الإسلام ابن تيمية في القرن الثامن وكذلك الحافظ ابن القيم والعلامة ابن عبد الهادي والحافظ ابن كثير والحافظ ابن رجب والعلامة ابو اسحاق الشاطبي وامثالهم رحمهم الله تعالى .

وممن قام بالإصلاح والتجديد والتبليغ بالهند اتباعا لسلفه الصالح الخواجة معين الدين الجشتي الأجميري والخواجة قطب الدين بختيار كاكي والخواجة فريد الدين كنج شكر وشيخ الإسلام بهاء الدين زكريا الملتاني والخواجة نظام الدين أولياء والشيخ شرف الدين يحي المنيري والخواجة نجم الدين الكبرى والخواجة بدرالدين السمرقندي والخواجه نجيب الدين الفردوسي . ولهم ولأمثالهم - رحمهم الله تعالى - خدمات علمية وروحية واصلاحية جليلة في تاريخ الهند .

ونجد من ابرز العلماء والمصلحين في

القرنين العاشر والحادي عشر كلا من الخواجه باقي بالله والشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي والملك المغولي محي الدين اورنك زيب وآلاف اتباعهم من العلماء واصحاب السلاسل الروحية رحمهم الله تعالى .

ثم يأتي في القرن الثاني عشر الشاه ولي الله الدهلوي المجدد والمفكر الاعظم الذي كان وارثا فريدا لعلوم وخدمات جميع الاسلاف المذكورين كما كان نهاية العصر القديم وبداية العصر الجديد في حركة الدعوة والتجديد بأولاده واحفاده وتلامذته واتباعه ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا .

ومن اهل القرن الثالث عشر الهجري ابناؤه الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي والشاه رفيع الدين والشاه عبد القادر والشاه عبد الغني ثم حفيده الشاه محمد اسماعيل الشهيد والمحدث الشاه محمد اسحق والشاه محمد يعقوب المحدث ، ومن تلامذة الشاه محمد اسحق في علم الحديث وغيره من العلوم الشرعية الشيخ محمد عاشق الدهلوي والشيخ محمد أبو سعيد البرياوي والسيد مرتضى البلغرامي وغيرهم .

وكان حفيد الشاه ولي الله الشاه محمد اسماعيل بن الشاه عبد الغني مجاهدا عظيما ، قاد حركة المجاهدين العظيمة ضد اعداء الإسلام . واستشهد مع السيد أحمد البريلوي رائد حركة الجهاد واتباعه المجاهدين في قرية بالاكوت على بعد بضع و مائة كيلومتر من إسلام آباد عاصمة باكستان الحالية .

ومن الذين قاموا بإنشاء الكتاتيب والمدارس وجاهدوا في سبيل نشر الدين وعلومه حق جهاده في القرنين الثالث والرابع عشر سيد الطائفة حاج امداد الله المهاجر المكي والشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ديوبند والشيخ رشيد احمد الغنغوهي والشيخ محمد مظهر والشيخ محمد منير والشيخ رحمة الله الكيرانوي والشهيد ضامن والشيخ الشهيد عبدالجليل والمفتي عناية الله الكاكوروي والعلامة فضل حق الخيرآبادي وأمثالهم .

وتبعهم في ذلك في القرن الرابع عشر للهجرة كل من شيخ الهند محمود الحسن

الديوبندي أسير مالتا ، والسيد أنور شاه الكشميري خاتم الفقهاء والمحدثين والعلامة الشيخ محمد أشرف علي التهانوي حكيم الأمة والشيخ مناظر أحسن الجيلاني والعلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي والشيخ ابو الكلام آزاد والشيخ جعفر التهانيسري وشيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني وابو المحاسن الشيخ سجاد والمفتي كفاية الله مفتي الهند الأعظم وسحبان الهند الشيخ أحمد سعيد والشاه عبد القادر الرائبوري ، والشيخ محمد الياس الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ العالمية الشهيرة والعلامة شبير أحمد العثماني والشيخ بدر عالم الميرتهي ومجاهد الملة الشيخ حفظ الرحمن وشيخ الحديث فخر الدين أحمد وحكيم الإسلام الشيخ القاري محمد طيب ، والمفتي محمد شفيع والشيخ محمد ادريس الكاندهلوي والعلامة محمد يوسف البنوري والشيخ عبد الماجد الدهلوي والشيخ عبيد الله السندهي والشيخ عبد الشكور الفاروقي وامثالهم . قام كل منهم بخدمة الاسلام والمسلمين ونشرلغة القرآن وعلوم الدين كما جاهدوا لقمع البدعة و الخرافة ونشر العقائد الصحيحة بين المسلمين [٢].

ومن الذي لايعرف الشيخ منظور احمد النعماني شيخ الحديث ومتكلم الإسلام صاحب مجلة الفرقان اللكهنوية حامي السنة وقامع البدعة واعداء الصحابة ذي شهرة عالمية لمؤلفاته في الحديث ورد الرفضة ؟

وأضف إلى ذلك أسماء كل من الشيخ أحمد رضا خان البريلوى صاحب المؤلفات الكثيرة الهامة الذي تأثر بأفكاره أهل الإسلام بكثرة . وابنيه العالمين الجليلين الشيخ حامد رضا خان والمفتي الأعظم الشيخ مصطفى رضا خان ، والشيخ نعيم الدين المراد آبادي ومن معهم من العلماء والمتصوفين رحمهم الله اجمعين .

ومنهم الشيخ عبد الحئ الفرنغي محلي صاحب الكتاب العربي الشهير " خير العمل بذكر تراجم علماء فرنغي محل " والشيخ الحافظ عبد الباقي الفرنغي محلي المهاجر المدني الذي اكمل ما بقي من كتاب استاذه الشيخ عبد الحئ المذكور .والشيخ عبد الباري الفرنغي محلي وابنه الشيخ جمال ميان

الفرنغي محلي والشيخ الملا محمد معين الفرنغي محلي ابن الشيخ مبين شارح السلم والمسلم وحفيده الشيخ عبد الباقي والمفتي محمد رضا الانصاري الفرنغي محلي والعلامة الفاضل بحر العلوم صاحب فواتح الرحموت شرح "مسلم الثبوت " الذي إليه النهاية في العلوم ، وامثالهم من علماء فرنغي محل وغيرهم ، رحمة الله عليهم .

ومنهم الإمام حميد الدين الفراهي صاحب العلوم الدينية مفسر القرآن ومبين نظم آياته ويليه تلميذه الخاص والعالم الجليل امين أحسن الإصلاحي صاحب التفسير الشهير " تدبر القرآن " ثم تلاميذهما واتباعهما من العلماء والمصلحين .

وممن يستحق الذكر قبلهم النواب صديق حسن خان القنوجي صاحب التفسير المسمى "فتح البيان في مقاصد القرآن " مع غيره من مؤلفاته العربية والفارسية الكثيرة الشهيرة . وقبله القاضي ثناء الله الباني بتي صاحب التفسير المظهري الفريد الذي نسبه إلى الشيخ الميرزا مظهر جانجاناں الشهيد . والسيد غلام على آزاد البلغرامي من العلماء والأدباء الكبار صاحب السيارات السبع من الشعر العربي ومؤلف " سبحة المرجان في آثار هندوستان" وغيره من المؤلفات الهامة المتنوعة باللغتين العربية والفارسية .

وأضف إلى ذلك اسم الشيخ ابي الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة ومؤلف اكثر من مائة كتاب في المواضيع الإسلامية المتنوعة . وعلى رأسها تفسيره الشهير " تفيهم القرآن " الذي هو نادر المثال في تفاسير العصر الحديث . و الشيخ ابو الليث الصديقي امير الجماعة الإسلامية بالهند سابقا والشيخ محمد يوسف امير الجماعة والشيخ صدرالدين الإصلاحي والشيخ محمد يوسف الإصلاحي والدكتور نجاة الله الصديقي وغيرهم من المنتمين إلى الجماعة الإسلامية وافكارها السامية .

ومنهم الدكتور محمد حميد الله الصديقي من حيدر آباد الدكنية صاحب المركز الإسلامي في باريس وهو لايزال نادر المثال في معرفته باللغات الشرقية والغربية وخدماته العلمية والدينية العالمية الواسعة النطاق . فقد قام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة

الفرنسية ، كما اشتغل بترجمة معانيه إلى اللغة الألمانية بتعاون السيدة المانية حاجة طاهرة .وله مؤلفات كثيرة قيمة في شتى اللغات وفي المواضيع الإسلامية المتنوعة .

ويجدر بنا أن نذكر العلماء المنتسبين إلى " ندوة العلماء " في مدينة لكهنو الهندية. وعلى رأسهم العلامة محمد على المونغيري من مؤسسيها والسيد عبد الحئ اللكهنوي صاحب " نزهة الخواطر "، في عدة مجلدات وباللغة العربية . يحتوي هذا الكتاب على تراجم آلاف العلماء والمصلحين الهنديين. وكذلك له كتاب آخر " الثقافة الإسلامية في الهند " يحتوي على اسماء الكتب المؤلفة بالهند على ايدي العلماء والمؤلفين المسلمين في مختلف المواضيع الإسلامية باللغات العربية والفارسية والأردية . فمن قرأ هذين الكتابين باللغة العربية وألحق بهما تأليف الدكتور زبيد أحمد باللغة الإنجليزية أو ترجمته باللغة الأردية المسمّى "عربي ادبيات ميں پاك وهند كا حصه " اي "سهم الهند وباكستان في الآداب العربية "[٣] تبين له جميع النواحي من خدمات العلماء والمؤلفين البارزين في شبه القارة الهندية .

ومنهم العالم الجليل السيد ابو الحسن علي الندوي بن السيد عبد الحئ اللكهنوي الذي لايحتاج إلى التعريف به ،لأنه معروف ذو شهرة واسعة في العالمين العربي والإسلامي . وله خدمات علمية ودينية واسعة كما ان له مؤلفات قيمة عديدة باللغتين العربية والأردية اشتهرت في مشارق الأرض ومغاربها (٤) .

ونكتفي بذكر هذه الأسماء للعلماء والمصلحين والمؤلفين البارزين ورجال العلم والأدب في شبه القارة الهندية ، وذلك مع الإشارة إلى الكتب الثلاثة المذكورة آنفاً فمن شاء فليراجعها ويتأكد بخدمات المسلمين الهنديين في مختلف المجالات العلمية والدينية والثقافية والتي قلما تجد لها مثالا في العالمين الإسلامي والاجنبي . ولايعنى ذلك ان الذين لم يذكر أسماؤهم هنا أقل أهمية من الذين ذكرت أسماؤهم، بل ربما يكون الأمر بالعكس في بعض الاحيان، وقد عجزنا عن البيان لضيق المقام .

ونلخص الآن مكانة اللغة العربية بالهند في النقاط الآتية :

١- ألف علماء الهند وأدباؤه آلاف الكتب باللغة العربية كما ألفوا عشرات الآلاف من الكتب باللغتين الفارسية والأردية المكتوبتين بالحروف العربية وامتلأت هذه الكتب بالكلمات والمصطلحات والمفردات العربية .

٢- ان اللغة العربية هي لغة دينية لمائة وخمسين مليون مسلم هندي يتعلمونها إلى حد ما تلاوة القرآن وأداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى . كما أن للغة العربية علاقة ثقافية ودينية مباشرة بحياة كل مسلم هندي فيسمع كل مولود الآذان والإقامة في أذنيه فور ولادته ثم يسمى عادة باسم عربي .ثم يؤدي الصلاة ويتلو القرآن طول حياته باللغة العربية . ويجد اللغة تسايره خطوة بعد خطوة في حياته الإسلامية من المهد إلى اللحد . فهي لغة البلاد الثانية فعلا بعد اللغة الهندية من حيث عدد المنتمين اليها والعارفين بها كليا أو جزئيا .

٣- وتوجد آلاف المساجد والمدارس العربية الإسلامية في جميع انحاء الهند التي تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية من القرآن والحديث والفقه والتفسير وغيرها على نطاق واسع . ويبلغ عدد الطلبة في هذه المساجد والكتاتيب والمدارس إلى مئات الآلاف من المسلمين .

وعلى رأسها " دار العلوم " ديوبند التي أسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي (ت١٢٩٧هـ)تلميذ المحدثين الجليلين الشاه محمد اسحاق(توفي بمكة سنة ١٢٦٣هـ) سن أسرة الشاه ولي الله الدهلوي والشاه عبد الغني المجددي من سلالة الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني [٥] .

فبدأ التدريس بها في كوخ صغير بمدرس وطالب فقط ، وذلك سنة ١٢٨٣ هـ .ثم كان من فضل الله وصدق عزائم القائمين بها أن ازدهر المعهد وترقى رقيا باهرا . وافتتحت معاهد دينية أخرى في مختلف مدن الهند أصبحت حصونا للدين منيعة في تلك الأيام المظلمة التي اتسع فيها الخرق على الراتق واصبح القابض على الدين كالقابض على الجمر [٦].

وقلما تجد مدينة أو قرية من مدن الهند وقراها الا وتجد فيها اغلبية العلماء

والمدارس الدينية تفتخر بنسبتها إلى دار العلوم ديوبند . وكذلك تجد آلاف المدارس والمعاهد في بنغلاديش وباكستان وأفغانستان وبعض الدول الأخرى تنتسب إلى دار العلوم ديوبند وعلمائها وتلامذتهم من البنغاليين والباكستانين والأفغان والاتراك وغيرهم . وكذلك تجد بين خريجي دارالعلوم ديوبند وفروعها في اكثر من مائة سنة آلاف الرجال من دول الأقليات الإسلامية اضافة إلى الذين تخرجوا منها ومن فروعها من ابناء الدول الإسلامية المختلفة . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم .

والمعهد الثاني يستحق الذكر خاصة هو "ندوة العلماء " بمدينة لكهنو الهندية التي تأسست جمعيتها سنة ١٣١١هـ /١٨٩٣م اسس بنيان دار العلوم التابعة لها بعد خمس سنين . وذلك بمجهودات الشيخ محمد على المونغيري والسيد عبد الحي اللكهنوي وغيرهما من العلماء الكبار .

وكانت غايتهم القصوى من تأسيس الجمعية ودارالعلوم التابعة لها ان لاتتسع شقة الخلاف بين الطائفتين المتجددة والجامدة ولايتعذر اتفاقهما على كلمة واحدة في الأعمال والمشاريع التي لها علاقة بمصالح المسلمين عامة .واصبحت هذه الفكرة فيما بعد فكرة سائدة ورأيا محكما مستوليا على قلوب الأمة وزعمائها ، اخذ بمجامع قلوب العلماء والمتعلمين الجدد .[٧]

وبقي لنا ان نشير إلى مزية أخرى لندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها ، أنها لا تضاهيها ولا تزاحمها مدرسة ولا كلية ولاجامعة في الهند . وذلك ان القائمين بها اعتنوا في أول ما اعتنوا بتدريس اللغة العربية اعتناء عظيما . فانهم جعلوا تدريس لغة القرآن نطقا وكتابة من اهم ما يشتمل عليه منهاج دارعلومها ، ومن ذلك انهم سعوا سعيهم في جميع ادوارها ، لان يجلبوا اساتذة اللغة العربية من بلاد العرب نفسها ليتدرب الطلبة على الكلام ويتمرنوا على الكتابة . وقد رزقهم الله نجاحا باهرا في هذا الشأن ، حتى ان أشد الناس محاربة لدعوة الندوة ومعارضة لها يعترف بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء[٨].

ولا تزال ندوة العلماء تقوم بتدريس

اللغة العربية والعلوم الإسلامية الاصيلة منذ قرن تخرج فيها آلاف العلماء من داخل الهند وخارجها. وخدمات الندويين في مجالات التدريس والأدب والتصنيف والتأليف والدعوة والتبليغ خدمات فريدة واسعة . والأمة المسلمة في الهند وخارجها مدينة لهم ولمعهدهم العظيم لهذه الخدمات المستمرة الواسعة .

وهناك كثير من المدارس والمعاهد والجامعات الدينية الأخرى مثل مدرسة " الاصلاح " سرائے مير، والجامعة السلفية العظيمة في بنارس ودار العلوم منظر الإسلام في بريلي ، والمدرسة العالية في كلكتة ، والجامعة الرحيمية في دهلي وغيرها من المدارس العربية الإسلامية الهامة . ولاعداء بين هذه المدارس والمعاهد الهندية المشتغلة بنشرالإسلام وعلومه ولغته الى اقصى حد مستطاع .والعلماء المنتسبون اليها والى جماعة التبليغ والجماعة الإسلامية والجماعات الأخرى يتعاونون فيما بينهم تعاونا على البر والتقوى مراعاة لمصالح الإسلام والمسلمين في الهند . وهم يد واحدة على اعداء الإسلام والمسلمين في الهند وخارجها ، ولا حاجة إلى القول انه يوجد هناك بعض الناس من البلهاء والحمقى ايضا شأنهم شأن امثالهم في كل مجتمع اسلامي من التمزيق والتفريق وابراز شخصياتهم فلايبالى بهم ولا مفر منهم .

٤- وتوجد اللغة العربية كمادة اختيارية في المدارس والكليات الرسمية المختلفة كما توجد اقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعات الهندية المنتشرة في جميع انحاء الهند . وهناك بعض الجامعات التي تهتم باللغات العربية والفارسية والأردية والدراسات الإسلامية اهتماما خاصا . ومنها جامعة عليكره الإسلامية والجامعة الملية في دهلي والجامعة العثمانية في حيدرآباد الدكن.

وكذلك هناك كثير من المؤسسات والمعاهد والمجالس تعتني بالعلوم العربية والإسلامية اعتناء خاصا . وعلى رأسها مجلس دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن الذي لعب دورا هاما في احياء ونشرالمخطوطات العربية في مجالات التفسير والحديث والفقه وغيرها مدة طويلة ، ولايزال قائما بأعماله .والفضل لتأسيس المجلس والجامعة العثمانية للحكام العثمانيين في

حيدر آباد الدكن الذي كل واحد منهم كان يسمّى " نظام حيدر آباد الدكن ". والجدير بالذكر ان بعض المنشورات للمجلس نشرت اولا بالهند ثم طبعتها البلاد العربية متاخرة ومستفيدة من طبعاتها . ومنها " المستدرك على الصحيحين " في عدة مجلات ضخمة للإمام ابي عبد الله الحاكم النيسابوري ، و"شعب الايمان " للبيهقي .

ولابدّ من ذكر اسماء كل من " ندوة المصنفين " في اعظم كره ، ومكتبة رامبور ، ومكتبة خدا بخش في بتنة . والمؤسسات والمكتبات الرسمية وغير الرسمية الكثيرة لاتزال قائمة بخدمة العلوم العربية والإسلامية في مشارق الهند ومغاربها . وكفى بالاقليات الإسلامية في العالم فخرا خدمات الاقلية المسلمة الهندية في العلوم العربية والإسلامية كما وكيفا ولله الحمد .

٥- وتعتني الحكومة الهندية والاغلبية الهندوسية باللغة العربية اعتناء خاصا كلغة عالمية لفوائد تعلمها على المستويات التجارية والعلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية ،لاسيما لاهميتها في الدول العربية والإسلامية والافريقية وهيئة الأمم المتحدة والهيئات والمؤسسات الدولية الأخرى .وهي لغة البلاد الثالثة فعلا بعد اللغتين الهندية والانجليزية تهتم بها الحكومة اهتماما خاصا كلغة عالمية . وقد أنشأت معهدا خاصا لتعليم العربية في عاصمة البلاد دلهي قبل مدة للشعب الذاهب إلى الدول العربية ولغيرهم من الراغبين في تعلمها . وقلما تجد دبلوماسيا هنديا في الدول الناطقة بالعربية لايجيد اللغة العربية نطقا وكتابة وفهما في حين ان بعض السفراء المسلمين للدول الإسلامية لايعرفونها ولا يبالون بتعلمها [٩].

هذه نبذة من مكانة اللغة العربية والاقلية المسلمة بالهند، فالعربية لغة البلاد الثانية فعلا من حيث عدد المسلمين المنتمين اليها دينيا ، كما هي اللغة الثانية فعلا بعد الانجليزية تهتم بها الدولة من بين اللغات العالمية . ولكن مع الأسف الشديد لا نرى أي اعتراف بها رسميا ودستوريا كلغة الاقلية المسلمة المشتملة على ربع ، او خمس عدد السكان تقريبا ، وكذلك كلغة علمية وعالمية

عظيمة . وكانت المسؤلية على عاتق الملوك المسلمين أولا الذين استولوا على البلاد طيلة قرن ولكنهم اهتموا قليلا بنشر الإسلام واعطاء اللغة العربية مكانة رسمية في الهند. واكتفوا بجعل لغتهم الفارسية المكتوبة بالحروف العربية والمليئة بالمفردات العربية لغة رسمية للبلاد مع ابقاء اللغة العربية لغة المدارس والمعاهد ولغة المحاكم الشرعية مع الفارسية .

والمسؤلية على مسلمي الهند وعلمائهم ومفكريهم أيضا الذي اشرب في قلوبهم حب اللغة الأردية وقدّسوها تقديسا لم يكن يستحقها الا لغة القرآن والرسول عليه السلام . وكانت النتيجة العداء المستمر بين اللغتين الهندية والأردية نفسيا وثقافيا وسياسيا الخ.. ولانريد ان نطيل الكلام في اسباب العداء التاريخي بين الهندية والأردية ودور اللغة الأردية في نشر العلوم الإسلامية وتربية المسلمين في شبه القارة لانها اسباب وحقائق لايجهلها اي عارف بأمور الهند ومسلميها . وقد انتهى دور اللغة الأردية كلغة سائدة في الهند فعلا بعد انقسام شبه القارة إلى دولتي باكستان والهند في اغسطس ١٩٤٧م. كما انتهى دورها في باكستان الشرقية كلغة وطنية مع اللغة البنغالية بعد تأسيس دولة بنغلاديش المستقلة في ديسمبر ١٩٧١م. واذا كانت اللغة الأردية ولاتزال لغة باكستان الوطنية فلها اسبابها الجغرافية والثقافية والقومية لانجدها في الهند دولة الأقلية المسلمة في شبه القارة ، ولافي بنغلاديش دولة الأغلبية المسلمة فيها .

والحقيقة كل الحقيقة في الظروف المتغيرة والمتطورة هي ان اللغتين العربية والهندية هما لغتا الأقلية المسلمة في الهند معا ؛ لان اولاهما هي لغتهم الدينية واخراهما لغتهم الرسمية والوطنية . وعلى مسلمي الهند وعلمائهم ومفكريهم ومثقفيهم ان يعترفوا بهذه الحقيقة اعترافا واضحا ويخططوا تخطيطا مؤثرا لاقناع الدولة الهندية ـ حكومة وشعبا ـ يجعل اللغة العربية لغة البلاد الثانية بعد الهندية واللغة المشاركة الثانية بعد الانجليزية لمكانتها الإسلامية والعالمية اضافة إلى جعلها لغة اجبارية للطلبة المسلمين في التعليم الابتدائي والثانوي علي الاقل مع

جعلها لغة اختيارية لغير المسلمين من الطلاب . وهذا كله اسهل من الجهاد في سبيل اللغة الأردية واقرب الى الصواب والثواب ، وسوف يتحمس المسلمون لذلك سواء كانوا من البنغال وآسام وتامل نادو وكيرالة وكجرات او من بمبئي ويوبي وسي بي وبهار وراجستان وبنجاب في حين ان كثيرا منهم غير المتحمسين للغة الأردية عامة لاسيما في الولايات والمناطق غير الناطقة باللغة الأردية أو الهندية كلغة شعبها الأم . وكذلك سوف يشعر كثير من غير المسلمين باهمية اللغة العربية كلغة علمية وعالمية في حين انهم يتنفرون من اللغة الأردية لاسباب تاريخية ولكونها لغة لا فائدة لهم من تعلمها على المستويات الرسمية والوطنية او العالمية .

ومن فوائد تعليم اللغة العربية لمسلمي الهند وغيرهم من المواطنين كما يلي :

١- قراءة القرآن والحديث والعلوم الإسلامية المتنوعة وفهمها مباشرة مع فهم محتويات الصلاة والعبادات الأخرى . وذلك مع الاستفادة من المؤلفات الأردية بعد الاتقان في الابجدية العربية ابجدية اللغة الأردية .

٢- ارتباط لغوي مباشر بأغلبية الدول الإسلامية وعلومها وجامعاتها التي تحتل فيها اللغة العربية مكانة اللغة الرسمية او الوطنية او التعليمية الاجبارية ، بدء ا من برونائي دار السلام ومالديف وايران الى الجزائر والصومال والسنغال .

٣- توظيف المسلمين الهنديين العارفين اللغتين العربية والانجليزية في المؤسسات الدينية والتجارية والعامة والسفارات والقنصليات الوطنية والاجنبية .وكذلك في الهيئات والمنظمات العالمية والاقليمية مثلا هيئة الامم المتحدة ، و منظمة المؤتمر الإسلامي ، ورابطة العالم الإسلامي ومنظمة الوحدة الافريقية وغيرها .وكذلك التوظيف في المساجد والمراكز والمعاهد العربية الإسلامية في الدول الغربية وغيرها التي تحتاج الى الماهرين في اللغتين العربية والانجليزية معا للخدمات الإسلامية . ثم تسهيل امور التبليغ علميا وعمليا بمعرفة اللغة العربية على المستوى العالمي للقائمين بها لاسيما لاعضاء جماعة التبليغ والجماعة الإسلامية والاحزاب الإسلامية الهندية

الأخرى.

٤-إيجاد امكانيات واسعة لخريجي المعاهد والمدارس العربية الإسلامية الهندية كمعلمي اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية والثانوية الرسمية اذا جعلت لغة اجبارية لطلبة المسلمين واختيارية لغيرهم في التعليم الابتدائي والثانوي بالهند . وكذلك امكانيات واسعة لخريجي المدارس والكليات الرسمية في المستقبل كمعلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في البلدان الإسلامية والاجنبية لمعرفتهم اللغتين العربية والانجليزية معا .

٥-إيجاد امكانيات واسعة لغير المسلمين الهنديين العارفين باللغتين العربية والانجليزية معا في المؤسسات التجارية والاقتصادية والثقافية العربية والإسلامية والافريقية والدولية والسفارات والقنصليات وفي انظمة التعليم داخل الهند وخارجها .

ب - جمهورية الصين الشعبية

يتجاوز عدد السكان في الصين الف مليون نسمة . ونجد في هذه الدولة العظيمة منطقة " سنكيانج " او " تركستان الشرقية " الواسعة ذات الأغلبية المسلمة التي يسكن فيها عدة الملايين المسلمين الناطقين باللغة التركستانية الكشغرية المكتوبة بالحروف العربية والمتأثرة باللغة العربية إلى حد كبير . وذلك مع انتشار اللغة العربية فيها كلغة القرآن والحديث ولغة العبادات والعلوم الإسلامية على نطاق واسع . وتجاور هذه المنطقة باكستان وكرغيزيا وطاجيكستان من الدول الإسلامية . وتقارب مساحتها ١,٦ مليون كلومتر مربع سدس مساحة الصين كلها .

اما عدد المسلمين في بقية الصين فلاتوجد لهم الاحصائيات الرسمية الدينية . ويقدر عددهم بعشرات الملايين المنتشرين في جميع انحاء الصين . ولهم مساجدهم ومراكزهم في بيجنغ وشنغائي وكوانغ تونغ وفوشيئن وشه شيانغ وشينشي وشانشي وغيرها من المدن والولايات . والمسلمون في الصين هم من سلالة الهان وويغور والقازاق والاوزبيك والطاجيك والتتار والكرغيز وتونغ شيانغ وسالار وباوآن وغيرهم [١٠].

ومنحت الحكومة الشيوعية الصينية

الحريات الدينية والثقافية الواسعة لشعبها المسلم ولاتباع المذاهب والاديان الأخرى في بداية الثمانينات او قبل ذلك بسنين . فقام المسلمون بترميم المساجد وعمارتها وتنظيم الصلوات والنشاطات الدينية والثقافية مع انشاء الكتاتيب في المساجد لتعليم الإسلام ولغة القرآن . ونجد تراجم معاني القرآن وبعض كتب الحديث والمولفات الإسلامية باللغة الصينية وباللغات المحلية .

واللغة العربية هي اللغة الدينية لمسلمي الصين كلهم يتعلمونها لتلاوة القرآن واداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى ومن العجيب جدا ان معرفة المسلم الصيني العادي باللغة العربية اقوى من معرفة المسلمين العاديين بها في الهند والدول الاخرى رغم انعزالهم عن العالم الإسلامي جغرافيا وصعوبة تعلم العربية المغايرة للغتهم الصينية تماما .ويستخدمها في حديثه وكتابته إلى حدٍّ ما . فيهتم مسلمو الصين بتعليم لغة القرآن اهتماما بالغا. ويحاول كل مسلم متمسك بدينه ان يتعلم اللغة العربية ويتحدث بها إلى اقصى حد مستطاع . ومعرفته باللغة العربية معرفة كافية نطقا وفهما في اكثر الاحيان[١١].

وبالاضافة الى ذلك تهتم الحكومة الصينية باللغة العربية اهتماما كبيرا ضمن اللغات العالمية والاجنبية . فلها اقسام مستقلة بالجامعات الصينية ،كما ان وكالة الأنباء الصينية " شينهوا " تستخدمها لارسال انبائها الى الدوائر العالمية يوميا . فتنشر باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والروسية والاسبانية انبائها كل يوم مشتملة على ما بين عشرة آلاف وثلاثين الف من الكلمات . كما أنها تصدر " نشرة الأنباء " يوميا بالعربية وباللغات المذكورة الأخرى مشتملة على اخبار الوكالات والجرائد الأجنبية[١٢].

وكذلك نجد كثيرا من المؤلفات والمجلات العربية تطبع بالصين لافادة المسلمين بالصين ولنشر الافكار الصينية في الدول العربية والإسلامية والافريقية . وأضف الى ذلك برامج الاذاعة الصينية باللغة العربية للدول الناطقة بها . وتعتني المؤسسات الإسلامية لاسيما " الجمعية الإسلامية

الصينية " في بيجنغ بنشر الإسلام ولغة القرآن الى اقصى حد مستطاع . كما لا تمنع الحكومة الصينية الآن ابناء المسلمين من مواصلة دراساتهم العربية والإسلامية في البلدان العربية والإسلامية والأجنبية وتسهل لهم الأمور لذلك ، وليس ببعيد ان تفكر الحكومة الصينية في اعطاء اللغة العربية مكانة خاصة بعد اللغة الصينية على المستوى الرسمي والوطني كلغة اقليتها المسلمة وكلغة عالمية مع جعلها مادة اجبّارية للطلبة المسلمين واختيارية لغيرهم في مدارسها نظرا الى اهميتها الإسلامية والعالمية .

ج - الأقليات المسلمة في الدول الآسيوية الأخرى

نجد الملايين من المسلمين في دول آسيا المختلفة، ولهم مناطق اغلبيتهم في بعضها مثل منطقة أراكان في بورما و"منداناؤ " في الفلبين ومنطقة الفطاني في تايلندا الخ . فنجد الملايين من المسلمين منتشرين في تايلندا والفلبين وسري لنكا ونيبال وبورما وغيرها من بلاد آسيا .

ويوجد مئات الآلاف من المسلمين او عشرات الآلاف منهم او اقل من ذلك في مختلف الدول غيرالمسلمة الآسيوية . وقلما تجد دولة من دول آسيا خالية من وجود المسلمين تماما .فتجدهم في اليابان وكوريا وكامبوديا وفيتنام وهونغ كونغ وتائيوان وغيرها من دول آسيا .

واللغة العربية هي لغة دينية لابناء الاقلية المسلمة في كل دولة من دول آسيا يتعلمونها لتلاوة القرآن واداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى ويحاول كل مسلم قديم او حديث العهد بالإسلام فيها ان يتعلم اللغة العربية كلغة حية في اسرع وقت ممكن لاسباب دينية وحرص المسلمين في هذه البلاد النائية على تعلم لغة القرآن والرسول عليه السلام اكثر من حرص المسلمين عليها في بعض البلدان الإسلامية .فلذلك نجد المسلمين المشاركين في المؤتمرات الإسلامية الدولية من هذه البلاد ناطقين باللغة العربية الفصحى في اغلب الأحيان ، ولايجدون اي صعوبة فيها نطقا وكتابة وفهما .

وتوجد المساجد والمراكز الإسلامية في كل دولة من دول الأقليات المسلمة حسب

عددها والظروف المحيطة بها . كما توجد الكتاتيب والمدارس والمعاهد العربية الإسلامية الملتحقة بهذه المساجد بكثرة ، واللغة العربية هي لغة التدريس الأساسية فيها . وكذلك يواصل عدد كبير من ابناء الاقليات المسلمة في آسيا دراساتها في البلدان العربية والإسلامية .

ولاتزال الدعوة الإسلامية متقدمة في كثير من هذه البلدان وإقبال اهلها من غير المسلمين على الإسلام وثقافته ولغته اقبال واضح ملموس . ويوجد كثير من المعتنقين للإسلام في اليابان وكوريا الجنوبية وغيرهما من دول آسيا . والمركز الإسلامي في طوكيو ونشاطات الدكتور شوقي فوتاكي وامثاله من المسلمين الجدد في اليابان والدول الأخرى نشاطات واسعة . ويتمسك المسلمون بالإسلام في هذه البلدان تمسكا شديدا لانجد له مثالا حتى في الدول الإسلامية في بعض الاحيان .

ولاتزال المؤلفات الإسلامية تطبع بلغات هذه البلاد كما ترجمت معاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية والصينية والتايلندية والفليبينة وغيرها من اللغات الآسيوية . كما تهتم حكومات هذه الدول باللغة العربية اهتماما متزايدا بمرور الزمن لكونها لغة العالم العربي والإسلامي والافريقي ولكونها لغة علمية وعالمية عظيمة .ولاتزال تعتني بدراستها في الكليات والجامعات المختلفة بها (١٣).

هذه نبذة من اوضاع اللغة العربية في دول الأقليات المسلمة الآسيوية . وخلاصة القول في هذا الموضوع هي أن الإسلام ولسان القرآن لايزالان موجودين ومنتشرين ومتقدمين الى الامام عامة في دول الاقليات المسلمة الآسيوية . ويجب على كل مسلم في كل دولة من هذه الدول ان يعتبر لغة القرآن والإسلام لغته الأولى قبل لغته الأم ، ويجتهد في سبيل تعلمها واجادتها نطقا وكتابة وفهما .كما انه يجب عليه ـ فردا وجماعة ـ ان يحاول نشرها بين اخوانه المسلمين وغيرهم من المواطنين على نطاق واسع .

وكذلك ينبغي له ان يطالب بتدرسيها كلغة اجبارية للمسلمين واختيارية لغيرهم في مدارس بلاده الابتدائية والثانوية . وذلك مع محاولات اضافتها الى اللغات الرسمية

والوطنية والتعليمية لبلاده كلغة الاقلية المسلمة ولغة عالمية هامة . وكل ذلك بمساعدة اخوانه المسلمين وغيرهم من المواطنين اذا امكن له ذلك .والله الموفق .

الهوامش

١- مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، بيروت ، دارالعربية ، ١٣٧٠هـ ، ص ٥.

٢- راجع لأكثر الأسماء المذكورة تاليف المفتي جميل الرحمن القاسمي ، گنجيه وحدت (كنز الوحدة) ، دلهي ، اكاديمية الشاه ولي الله ١٩٩٠م ، ص ٦٧-٧٢ .

٣- الف الدكتور زبيد احمد كتابه المذكور باللغة الانجليزية وهو رسالته للدكتوراه باسم " THE INDO - PAK CONTRIBUTION TO ARABIC LITERATURE "

٤- هذه الاسماء والمعلومات مأخوذة عن المصادر العلمية المختلفة .

٥- مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص ١٩١.

٦- المرجع نفسه ، ص ١٩٢.

٧- المرجع نفسه ، ص ١٩٧ .

٨- المرجع نفسه ، ص ١٩٩.

٩- هذه المعلومات مأخوذة عن المصادر المختلفة .

١٠- راجع شي ون : الصين . دراسة عامة (چين ايك عام جائزة) . بيجنك ، غير ملكي زبانون كا اشاعت گهر (دار النشرللغات الأجنبية) ١٩٨٤م، ص ٢٨٩- ٢٩٠.

١١- اخبر بذلك الدكتور محمد زكريا خواجه ، عميد كلية العلوم الإسلامية والشرقية ، ورئيس قسم اللغة الأردية بجامعة بنجاب لاهور ، باكستان سابقاً ، واستاذ اللغة الأردية بجامعة بيجنك .

١٢- شي ون : چين ايك عام جائزه (الصين دراسة عامة) ، ص ٢٧٣- ٢٧٤

١٣- هذه المعلومات مأخوذة عن المصادر المختلفة .

* * * * *